ملامح الاستدلال اللغوي في كتاب تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى

ينضوي الاستدلال اللغويّ عند الشريف المرتضى ضمن طريقته في الاستدلال على تنزيه الأنبياء، فهو يجري غالبًا بطريقة الشرط وجوابه (فإن قلت قلتُ)، وهو أسلوبٌ يُتّبَع في المناظرات، ويسمى بـ(الفنقلة)، ويكون أوفقَ لبيان الحجة ووضوحها، وأبلغَ في تفنيد دليل الخصم، وتطالعك هذه الطريقة في الكتاب كلّه، ومن ذلك أنّ استدلاله اللغويّ قد جرى بها أيضًا.[i]

ويمكن للناظر في استدلالات الشريف المرتضى على تنزيه الأنبياء فيما بَحَثه من نصوص القرآن الكريم الخاصة بالأنبياء (عليهم السلام) أن يلحظ أن الاستدلال اللغويّ قد يكون حاضرًا في المسألة المعروضة للنقاش واحدًا من مجموعة استدلالات يعرضها الشريف المرتضى لدفع الشبهة عن عصمة أحد الأنبياء (عليهم السلام)، وقد تقوم المسألة على استدلالات لغويّة لا يشترك معها استدلالٌ آخرُ عقليًا كان أم نقليًا، ومن الضرب الأول ما ذكره السيّد المرتضى من وجوه في تأويل معنى نسيان نبيّ الله موسى (عليه السلام) المذكور في قول الله تعالى حكايةً عنه في قصته مع الخضر (عليه السلام): ((لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ)) [سورة الكهف، من الآية: ٧٣] إذ ذكر ثلاثة أوجه، أحدها: أنّه النسيان المعروف، وليس في ذلك ضيرٌ، فإن الإنسان قد ينسى ما قرب زمانه؛ لما يعرض له من اشتغال القلب.

والثاني: أنّ النسيان بمعنى الترك، وأنّ موسى (عليه السلام) أراد :لا تؤاخذني بما تركت، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ)) [سورة طه، من الآية: ١١٥].

والثالث: أنّه أراد: لا تؤاخذني بما فعلتُه ممّا يشبه النسيان، فسمّاه نسيانًا للمشابهة، كما قال المؤذن لإخوة يوسُفَ (عليه السلام): ((إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)) [سورة يوسُفَ، من الآية: ٧٠] أي تشبهون السرّاق[ii].

فأنت تلاحظ أن الوجه الثاني فقط يتضمّن استدلالًا لغويّاً؛ لأنّه جعل النسيان بمعنى الترك، ذكر أحمد بن فارس(ت:٣٩٥هـ) أنَّ النون والسين والياء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على إغفال الشيء، ويدل الأخر على ترك الشيء، وفُسّر على الأصل الثاني النسيان في قوله تعالى: ((نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)) [سورة التوبة، من الآية: ٦٧] أي: تركهم، والمراد من نسيان آدمَ أنّه ترك العهد[iii].

([i]) ينظر على سبيل التمثيل : تنزيه الأنبياء : ٢٤، ٢٧، ٣٧، ٤٦، ٥٢، ٦٢، ٧٣، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٩، ١٤٢، ١٦١.

([ii]) ينظر: تنزيه الأنبياء: ١٢١.

([iii]) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢١/٥(نسي).